

## خواطر



محمد الخيسبي

## الشعور بالمسئولية

ما المسئولية؟ وما الشعور بها؟ وما مظاهره الدالة عليه؟ إن فكرة المسئولية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة التكليف والتزام، والحساب والجزاء، فهذه الأفكار ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، إذ لا التزام بدون تكليف، ولا تكليف ولا التزام بدون وجود مكلف ملتزم، وهو الإنسان المسئول، وبدون حساب وجزاء تفرغ فكرة التكليف والالتزام من مضمونها. ولو رجعنا إلى المعنى القاموسي والاشتقاق اللغوي لوجدنا أن معنى كون الإنسان مسئولاً: أي أنه مكلف بالقيام بأمور معينة، وأن يقدم كشف حساب إلى من كلفه. فالمسئولية إذا تعني التكليف والتحمل والالتزام والحساب والجزاء، كما تعني تحمل الإنسان للنتائج والآثار المترتبة على عمله وكسبه. والمسئولية من الناحية الفطرية تعني قدرة الإنسان على الالتزام، وقدرته على الوفاء بما التزم به من خلال جهوده الفكرية والعملية. وهذا المعنى إنما يدل على قدرة الإنسان واستعداده لتحمل المسئولية بالفعل، والخالق جل وعلا قد خلق الإنسان وجعله محلاً صالحاً للتكليف وتحمل المسئولية بما وهبه من عقل وقوى مدركة، وإرادة واختيار، وجعل من ذلك مناسطاً لتكليفه وتحميله المسئولية وترتب على ذلك حسابها وجزاءها، حيث قال تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانٍ ظُلْمًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (الأحزاب 72-73)». وذلك هو ما تعنيه كلمة المسئولية، فما معنى الشعور بالمسئولية؟

هو شعور الإنسان بأنه مكلف ملزم بالوفاء بما كلف به، محاسب على ذلك من قبل من كلفه مجزي به، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، أو هو شعور الإنسان بالواجب عليه، وأنه محاسب عليه مجزي به. والشعور بالمسئولية يعني شعور الإنسان بإنسانيته، فمن أخص خصائص الإنسان ما يميزه الله به من قوى مدركة وعقل يعقل به، وإرادة واختيار يريد بها ويختار، وقدرته على الالتزام وعلى الوفاء بما التزم به، وقدرته على إدراك العواقب والمآلات لما يصدر عنه من أقوال وأفعال، والنتائج والآثار المترتبة عليها والاستعداد لتحملها. والمسئولية والتكليف أمران متلازمان، إذ لا مسئولية بدون تكليف، ولا تكليف بدون مسئولية، والله تعالى خلق الإنسان وحمله أمانة التكليف ورتب على ذلك حسابها وجزاءها. ولهذا أرسل الله رسوله عليهم السلام، وأنزل عليهم كتبه هداية للناس إلى صراطه المستقيم، ومنهاجه الأوامر التي يتبعونها في حياتهم الدنيا، وختمهم بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين، وأوحى إليه دينه وشرعه الذي شرع لعباده في صورته النهائية والكاملة الصالحة للزمان كله والمكان كله.

والمسلم يؤمن بهذا الدين وبأنه مكلف باتباعه والاستقامة على هداية في حياته كلها الخاصة والعامية، الفردية والجماعية، وبأنه مسئول عن تعلمه وتعليمه والعمل به والدعوة إليه والعمل والجهاد في سبيله. وكل إنسان مكلف بالإيمان بالله وتوحيده، والإيمان برسوله عليهم السلام من أولهم إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وبما أرسله الله به من الهدى ودين الحق، مكلف باتباعه ومسئول عن ذلك.

والمسلم يؤمن بأنه وكل بني آدم مسئولون عن كل ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال، فهم مسئولون عنها ففشر، والحق سبحانه يقول: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)».

والمسلم يؤمن بأنه يعيش بنعمة الله، وأن كل نعمة إنما هي من الله تعالى، فالحق سبحانه يقول: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ (النحل 53)»، ويقول: «وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ» إبراهيم (34)، وبأنه مسئول عما أنعم الله عليه من النعم الظاهرة والباطنة، فالحق سبحانه يقول: «ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» التكاثر (8).

والمسلم يؤمن بأنه مستخلف من قبل الله في الأرض، مكلف بعمارة الأرض مهتدياً بهدى الله، وإقامة الحضارة الإنسانية الحقة على قواعد الحق والعدل والخير والفضيلة والمعروف الذي أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل به كتابه، وبأنه مسئول عن ذلك أمام من أستخلفه.

## في ذكرى الميلاذ النبوي ميلاذ أمة عظيمة رباها الرسول



عبد الله أحمد العديني

السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إن عظمت هذه الدولة أن مرجعيتها هي الشريعة الإسلامية والله عز وجل يقول: (وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ) . . . إذن فلنصنع إلى إلهك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين).

ويقول في سورة النساء: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ) . . . فالتقت العباد مع الحاكمية في آية الزمر والنساء.

وإن فدولة محمد عليه الصلاة والسلام دولة متميزة لا دولة كنسية ولا مدنية علمانية وإنما دولية إسلامية أعلنت في المدينة ثم أصبحت خلافة إسلامية في ظل حكم الخلفاء الراشدين ثم تعاقب على هذه الخلافة خلفاء كانوا بين قوة وضعف في ارتباطهم بمنهج هذه الخلافة وشرقيتها.

لقد عمرت أكثر من ألف وثلاثمائة عام والدين يلتقي مع الحياة بكل جوانب الحياة العلمية والسلوكية والاجتماعية بل كان الإسلام في هذه الخلافة يوجه مسيرة الحياة، حتى جاء الاستعمار الغربي في القرن العشرين فاستطاع أن يفصل بين الدين والحياة وأن يلحق العمالة له تلك الأقوال التي تقول لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، ونقول: الدين لله والوطن للجميع.

وأعلن في تركيا دولة علمانية بعيدة عن الدين الإسلامي وأعلن في البلدان العربية أنظمة ربما أخذت الدين اسماً ولم تأخذ حقيقة، لقد أخذت بعض الأنظمة العربية بالدين اسماً حياً من شعوبها وخوفاً من ثورة الشعوب، والمعركة الآن بين الشعوب والأنظمة هي من أجل الأخذ بالإسلام حقيقة.

وإن فإن حاجتنا اليوم كشعوب، كمتقنين، كعلماء أن نجاهد ونكافح من أجل تطبيق الإسلام وشرعيته التي يلتقي فيها الدين مع الحياة فتسعد البشرية بهذه الخلافة الراشدة ويتحقق الأمن والسلام في أرجاء الأرض وما ذلك على الله بعزيز (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . . . وهذا هو عنوان الوفاء لصاحب الدين الذي تعينها هذه الأيام. إن على كل مسلم في الأرض أن يعلم وأن يعي وعياً جيداً أن سفك دماء المسلمين ونهب أموالهم واستباحة أعراضهم والعدوان على أوطانهم إنما بسبب غياب الدولة الراشدة التي تجاهد الاستعمار وتحفظ الكليات الخمس التي جاء الإسلام من أجل أن يحافظ عليها.

5 - أمة ربانية: إن وحدة هذه الأمة ووعيتها وإيجابيتها وقوتها وهمتها وحرمتها إنما تنبثق من ربانيتها واتصالها بالله عز وجل وتطبيقها لشريعته واحترامها لتعاليم الإسلام وتعليمها للقرآن الكريم ولسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل يقول: (وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ).

إن محمداً صلى الله عليه وسلم ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة يتحرك من أجل أن يمكن للإسلام وأن يجعل السلطان السياسي لشريعة الله؛ فظل يدعو ويتحرك ويعرض دعوته حتى مكنته الله من إيجاد عوامل قيام الدولة وهي الأرض التي تمثلت بالمدينة المنورة والشعب الذي تمثل بالمهاجرين والأنصار وكان هو القيادة التي قامت هذه الدولة إلى النصر لدين الله وكان القرآن هو الدستور ثم الوثيقة التي كتبها رسول الله بين المسلمين وغيرهم من سكان المدينة.

إن محمد صلى الله عليه وسلم كان يسعى إلى دولة قال الله فيها (الدين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وشه عاقبة الأمور).

إن محمد صلى الله عليه وسلم أقام دولة متميزة تستمد خصائصها من ربانية هذا الدين ومن شموليته للحياة ولذلك فإن الغرب أقام شكلين من أشكال الدول الشكل الأول دولة الكنيسة التي أعلنت حريتها على الحياة الدنيا فكانت دولة كهنوتية كنيسية لم يقبلها الغرب فثار عليها، ولكن هذه الثورة كانت نتيجة رد الفعل فأعلنت دولة مدنية علمانية استبعدت الدين وهوس الكنيسة وحررت الدولة من سيطرة الكنيسة. أما دولة محمد عليه الصلاة والسلام فكان عظمتها أن الدين الإسلامي الشامل ارتبط بالحياة بل أصبح هذا الدين الحق موجهها للحياة في كل مجالاتها

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن رسالتها هداية البشرية: قال تعالى: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ).

ومن فرائض الإسلام الجهاد في سبيل الله والنصيحة الشاملة لله ورسوله وللمؤمنين ولأئمة المسلمين وقادتهم.

إن الخليفة الخامس عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أحد عماله أن الله بعث محمداً هادياً ولم يعثه جابياً، ومن شرائع الإسلام التي تدل على الإيجابية النصرة للمظلوم والأخذ على يد الظالم، وخذ هذا الحديث كمظهر من مظاهر إيجابية الأمة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض وليعظمنكم كما لعنهم).

إنها رسالة إلى الأمة التي تستسلم وتقبل بالظلم إنها ستلعلن وتطر من رحمة الله.

إن أعلى مظاهر الإيجابية في الأمة التي رباها محمد عليه الصلاة والسلام أن الله عز وجل قال عنها: (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)، وإن من دعاء صاحب الرسالة أنه كما يدعو قائلاً: (واجعل ثأرنا على من ظلمنا).

وماذا تعني الفتوحات الإسلامية وإسقاط الإمبراطوريات الفظلمة والكافرة والمفسدة لا يعني إلا إيجابية هذه الأمة ومدى تأثير المنهج العظيم في صناعة الأمة العظيمة.

إن التزام الأمة بالأخلاق الإسلامية هو مظهر من مظاهر الإيجابية فالأخلاق الإسلامية من صدق وعفة وأمانة ورحمة ووفاء وتواضع وشجاعة وتسامح هي من أعلى مظاهر الإيجابية.

إن أحد الشخصيات والقيادات الرومانية، قال: «أكل عمر كبدي يوم علم هذه الأمة مكارم الأخلاق!»، وهو لا يعلم إنما علمهم محمد عليه الصلاة والسلام، والذي علم عمر، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● أمة متحررة: إن هذه الأمة التي استمدت وحدتها من عقيدتها فإنها كذلك تستمد حريتها من دينها ومن عقيدتها؛ فالإسلام علمها ألا عبودية إلا لله، والأحكامية إلا لله، وأنها لا تسجد لصنم ولا لبشر ولا تتبع هوى لطاغوت أو مستبد وإنما تسجد لله الواحد الأحد، إن محمد صلى الله عليه وسلم علم الأمة قول الله: (قل إنني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، قل لا أتبع أهواءكم، قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين).

## لمحة من أخلاق خير البشر

## في ذكرى ميلاد صاحب الخلق العظيم

## مجيب الحميدي

ولذلك فإن الاحتفاء بذكرى ميلاد صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ينبغي أن ينطلق من قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَقوله: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية مع شدة صراعه مع الصوفية يؤكد أن تعظيم المولد واتخاذهم موسماً قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم، لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم مع عدم تفضيل ابن تيمية ذلك لمن سينشغل بقرابات أفضل وأعمال أجل. فقد ثبت في السنة النبوية احتفاء نبينا بيوم مولده بالقرب إلى الله بالصيام كما ثبت في صحيح مسلم في تعليقه صومه يوم الاثنين فقال: «ذلك يوم ولدني فيه وأنزل علي فيه»، والبدعة الحسنة هي البدعة التي توافق أصلاً مشروعاً، أما البدعة التي تخالف ما هو مشروع بالكتاب والسنة القولية والعملية والإقرارية فهي البدعة المذمومة. ولهذا أكد الإمام السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد» أن أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالحين من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة.

هذا يصور تمثالاً ويعبده  
وذاك يعبد أحباراً وكهناً  
الكون بحر عميق لا منار به  
لم يدرك فيه بنو الإنسان شطناً  
ويل الصغير وقد صار الورى سمكا  
يسيطو الكبير عليه غير خشيانا!  
فدولة الروم حوت فاغر فمه  
يطغى على تلكم الأسماك طغيانا  
ودولة الفرس حوت مظه كشرت  
أنيابه للورى بغياً وعدوانا  
وحشية عمت الدنيا أظافرها  
جهالة أصلت الأكوان نيرانا!  
الليل طال ألا فجر يبده؟!  
رؤاه.. أرسل لنا فلماً وربانا!  
هناك لاح سنا المختار مؤثلقا  
يهدي إلى الله أعجاماً وعربانا  
يتلو كتاب هدى كان الإخاء له  
بدءاً وكان له التوحيد عنوانا  
لا كبير - فالناس إخوان سواسية  
لا ذل إلا لمن سواك إنسانا

لا جدال ولا نقاش في عظمته وعبقريته سيد الخلق حبيبنا صلى الله عليه وسلم. غير أن العظمة والعبقرية مهما بلغ أمدهما تقفان عاجزتين دون تحقيق تلك النقلة الحضارية والإنسانية التي شهدتها البشرية حين أشرقت في جنباتها رسالة خير البرية. من يتأمل أحوال البشرية قبل وبعد بزوغ الطلعة المحمدية يستطيع أن يجيب إن كان في إمكان القدرة البشرية المحدودة مهما ترقى في مدارج كمالها تحقيق ذلك الانقلاب العظيم في تاريخ البشرية أم لا؟ قد يلوح المتأمل في شهادات بعض مفكري الغرب وفلاسفتهم الإشارة إلى هذه الإمكانية ولكن من يستغور هذه الشهادات ويستنتج الوقائع والتجارب التاريخية لا يملك إلا أن يؤكد ما ذكره شاعرنا الراحل عبدالله البردوني حين أشار إلى أن نبينا العظيم ما استطاع تحقيق تلك النقلة الحضارية والإنسانية إلا بعد هزة جبريلية حولته من محمد ابن عبدالله إلى محمد رسول الله. وقد صور الشيخ يوسف القرضاوي واقع الأمة قبل شروق شمس الرسالة الإسلامية فقال: أطل فجر هداة والدجي عمم بات الأنام وظلوا فيه عميانا